

التاريخ للتاريخ الأدبي:

قراءة من منظور أحمد فوزي الهيب

من خلال كتابيه الحركة الشعرية زمن الماليك

والحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء

The historiography of the Arab-Islamic heritage
Reading from the perspective of Ahmed Fawzy Al-Hayeb

بلفاضل جميلة

صغير فاطمة الزهراء*

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر-

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر-02

02- (الجزائر).

(الجزائر)

Djamia100.jimi@gmail.com

seghierfatmazohra@gmail.com.

تاريخ القبول: 2021/12/22

تاريخ الإرسال: 2021/11/21.

الملخص:

احتل التراث والمخطوط جانباً هاماً من الأبحاث العلمية والأكاديمية التي عكف الأديب والمحقق السوري فوزي الهيب على الاشتغال عليهما في حياته، فقد عُني بقراءة التراث العربي، وسخر جهده للمخطوط محققاً ومدققاً. هذا الاشتغال المضني لا شك أنه خلف منجزاً قيماً، وزاخراً من الدراسات والمؤلفات التي أثري بها المكتبة العربية والتي يجد فيها الباحث ضالته، كما أنها إسهامات بالغة في إعادة قراءة التراث وفق مقتضيات وآفاق يطمح إليها كل باحث غيور على لغته العربية وآدابها.

وعليه، فإننا نرکز اهتمامنا في هذه الورقة البحثية على إبراز جهود العلامة فوزي الهيب قارئ التراث ومحقق مخطوطاته مما يجعله يتبوأ مكانة الباحث المتميز. ودورنا في هذه الورقة البحثية الإجابة عن التساؤلات الآتية:

* المؤلف المرسل : صغير فاطمة الزهراء.

كيف قرأ د. أحمد فوزي الهيب التراث الأدبي؟ وما هي نظريته له؟ وما هي أهم الدراسات التي تناولت هذا المنجز؟

الكلمات المفتاحية: فوزي الهيب؛ التراث الأدبي؛ القراءة؛ التأريخ؛ اللغة والأدب؛ الحداثة

Abstract The heritage and the manuscript occupied an important aspect of the scientific and academic research that the Syrian writer and investigator Fawzi al-Hayib worked on during his life. This painstaking work undoubtedly left a rich and valuable accomplishment of the studies and literature that enriched the Arabic library and in which the researcher finds what he seeks, and it is a great contribution to re-reading the heritage according to the requirements and horizons that every researcher aspires to be jealous of his Arabic language and literature.

Accordingly, we focus our attention in this research paper on highlighting the efforts of the scholar Fawzi Al-Hayeb, the reader of heritage and the investigator of its manuscripts, which makes him occupy the position of a distinguished researcher.

Our role in this research paper is to answer the following questions: How read Dr. Ahmed Fawzy hip heritage? And what is his view of him? What are the most important studies that dealt with this achievement?

Keywords: Fawzi Al-Heeb; literary heritage, reading, history, language and literature modernity

1_مقدمة:

الدكتور العلامة أحمد فوزي الهيب قامة من القامات العلمية ، وعلم من أعلام الفكر والثقافة العربية ورائد من رواد الفكر في المشرق والمغرب. فالشيخ رحمه الله موسوعة علمية شاملة. فهو الشاعر والمحقق. الذي له باع في حقول معرفية شتى.

فالباحث و الدارس لسيرة الراحل يدرك مكانة هذه الشخصية المتفردة. فأعماله تنم عن عزم وتفان.

عمل دوماً على تصويب وتصحيح ما يصدر عن الأقلام والألسن من أخطاءٍ وزلاتٍ، منبهاً إلى الصواب وضرورة احترام قواعد اللغة العربية وتراكيبها. و من هذا المنطلق، سنقف عند أهم المحطات لهذه المسيرة الحافلة بالإنجازات، ونسلط الضوء على جانب من جوانب اشتغاله الفكري، وهو التأريخ للتراث الأدبي من خلال كتابيه الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء وكتاب الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء. وهذا يقودنا إلى طرح الإشكالية الآتية: كيف قرأ الاستاذ التراث الأدبي؟ وكيف كانت نظرته له؟ وماهي أهم الدراسات التي تناولت هذا المنجز؟

2. علاقة التراث بالأمة العربية:

تحيا الأمم بإحياء تراثها ولكل أمة تاريخ وتراث تفتخر به وتعتر. والرجوع إلى الماضي يؤكد أصالة الأمة. واعتباراً لأهمية التراث في حفظ هوية الأمة وتركيز دعامة وجودها وتطورها، فإن المخطوطات والمؤلفات التي تم تدوينها عبر مختلف العصور والأزمنة في شتى المعارف والحقول كالآداب والفلسفة والمنطق والرياضيات والجغرافيا وغيرها من العلوم كانت بمثابة المرجع الذي رسخ هوية الأمة وأصالتها وامتدادها عبر التاريخ.

وعليه، فقد أولى فوزي الهيب أهمية بالغة للمخطوطات في قوله: "قد حظيت المخطوطات العربية باهتمام كبير من قبل العلماء والباحثين لما تمثله من قيمة علمية وفنية وإنسانية، فتناولوها دراسةً وتحقيقاً ونشراً. ووضعوا لها الفهارس وعقدوا لها المؤتمرات والدورات"³. ويعني "بالمخطوطات هنا المؤلفات المكتوبة بخط اليد منذ بداية التدوين عند العرب حتى انتشار الطباعة في الوطن العربي، والتي تجمعت في المكتبات العامة والخاصة عبر تلك القرون الطويلة"⁴.

ومن خلال هذا التعريف للمخطوطات العربية فقد حدّد الباحث طبيعة المخطوطات من حيث ثلاثة أبعاد: الزمان والمكان والمجال. فمن حيث الزمان، فإن المخطوطات تُجمل ما تمّ تدوينه بخط اليد منذ عصر التدوين حتى العصر الحديث.

وأما من حيث المكان، هذه المخطوطات كتبت و انتشرت في رقعة واسعة من البلاد العربية والإسلامية ثم انتقلت الى البلدان الأجنبية.

ومن حيث المجال أو المضمون فهي تشمل ميادين عديدة من علوم وفنون وآداب وغيرها من عناصر الثقافة التي تجسدت في مختلف العبقريات في تلك الحقب. وكانت اللغة العربية هي الوسيلة والأداة في التعبير عن هذه الثقافات. وتتجلى أهمية المخطوطات كما حدّدها الباحث فيما يلي 5:

- 1- هي التراث الثقافي و الفكري و العلمي و الأدبي للعرب و المسلمين
- 2- هي السجل الأمين للأحداث التاريخية التي مرت بها الشعوب العربية و الإسلامية.

وتعد المخطوطات العنصر الرئيس للمعلومات التاريخية والحضارية ولولاها لكان الكثير من أحداث التاريخ غامضاً ومجهولاً.

- 3- حفظت لنا ثروة فكرية تعتَزّ بها الأمة العربية والإسلامية نتفاخر بها بين الأمم لأنها تعدّ أضخم رصيد فكري عرفه العالم. والكثير من المخطوطات تعرضت للضياع ممّا أعطت حافزاً لمتابعة ما أبدعه العلماء وتحقيقه تحقيقاً علمياً.

- 4- التنوّع في موضوعاتها و نقل جميع علومها وآدابها.
- 5- حفظت المخطوطات كثيراً من تراث الحضارات الأخرى اليونانية والرومانية والهندية والفارسية

ومن هنا فإن المخطوطات تعدّ المرجع الهام والسجل الوافي الذي حفظ هويّة الأُمّة وحمايتها من الضياع، وقد عُنِيَ الباحث بهذا المجال (تحقيق المخطوطات) حفاظاً على هويّة الأُمّة العربية والإسلامية خاصةً إفادة طلبة العلم بها.

3- التراث عند فوزي الهيب:

3-1 مفهوم التراث: شغل التراث العربي حيزاً هاماً من أعمال العلامة، فوزي الهيب، الباحث والمؤرخ والمحقق الذي ركّز معظم أبحاثه في إعادة قراءة التراث وتحقيق منجزاته سيما "الأدب العربي والبحث في تاريخه وتطوّره عبر العصور المختلفة، إلى جانب اشتغاله على تحقيق العديد من المخطوطات البارزة في اللغة والشعر"¹.

ويقدم العلامة مفهومه للتراث قائلاً: "التراث هو جملة الآثار الفكرية والأدبية والعلمية والمعمارية واللامادية التي خلّفها لنا الأجداد، والقيم المستخلصة منها و عنصر الإبداع والابتكار أنه فيها، والمناهج والطرائق التي اتبعوها في إنتاجها وأسلوبهم في النظر إلى الأشياء والحياة والإنسان وتقويمها وكل ما يشملها مفهوم الثقافة ويؤثر في تكوين الأجيال تتوارثه وتتعاقد عليه. وتتحدّد بها هويته القومية ويشكّل جوهر تاريخها على امتداد عصوره وتعاقد الحضارات فيه"².

ومن خلال هذا المفهوم، فإن التراث هو ما أنتجه الفكر العربي من إبداعات في مختلف الميادين، فقد أسس العلماء العرب أبحاثهم ودراساتهم على خبرات وأفكار علمية ومناهج أغنت الحضارة الإسلامية، ويعتبر التراث عنصراً مهماً في تطور الإنسان والحفاظ على هويته القومية كما أنه كنز من كنوز الماضي وإرث لا يضيّاهي.

وفي ضوء رؤيته هذه، فقد قرأ التراث الأدبي والتاريخي وعمل على أن يُبين القيم الأدبية والفنيّة وتتبع مراحل تاريخ الأدب خاصة من خلال كتاباته.

وإذا ما حاولنا اقتفاء نتاج الرجل، فإننا سنجد أنفسنا مقصرين في الإحاطة بزخم الأعمال القيّمة التي قدّمها في هذا الحقل المعرفي، والتي كرّس قصارى جهده وحياته لإخراجها موسومةً بالدّقة والصّحة والمعرفة الأدبية والتاريخية المعمّقة

2-3 التراث والمعاصرة:

يحيلنا التراث للعودة إلى الماضي وتحيلنا المعاصرة لمواكبة العصر و التطلّع نحو المستقبل. "ولكن هذه العودة إلى الجذور، لا تعني التطرّف ولا الجمود على القديم والتقوقع عليه وسد جميع الأبواب والنوافذ أمام ربح التجديد، وإنما تعني هذه العودة أن تتخذها أساساً تستند إليه، ثم ننطلق منه بقوة وصحة إلى الحاضر مستفيدين من كل معطياته (...)، كما تعني هذه العودة أيضاً التخطيط العلمي الدقيق للمستقبل والعناية بالعلوم المستقبلية"⁶. وبين هذا وذاك ثمة جسرٌ واصلٌ يقتضي الوقوف عنده واستكشاف روابطه. وهذا ما فعله أستاذنا، فالدكتور ألهيب -رحمه الله- كان يستدعي الحديث عن التراث والحداثة وفق رؤية تفاعلية؛ تستدعي إحداث التواصل بينهما يقول: "حديثنا عن تراثنا يدلّ على إعجابنا به ولكنه لا يعني البتّة التقوقع عليه، وإنما يعني أن نقرأ الثقافات الإنسانية القديمة والمعاصرة وأن نأخذ ما ينفعنا منها، وننطلق من الاثنين معاً لنعيش في حاضرننا وندرس علومه ونتفاعل معه، ونأخذ منهما معاً ما يفيدنا في الحاضر الذي نحيا فيه والمستقبل الذي سيعيش فيه أبناؤنا"⁷. تستوقفنا هذه النظرة لنقول:- ونحن نوافق الرأي- أنه يتعيّن علينا الرجوع إلى التراث والحفر في أغواره ودهاليزه وقراءة متونه قراءةً معمّقة وفهم قضاياه، بتوظيف بعض الآليات والمناهج الحديثة، مع الإبانة عن عبقرية العلماء العرب في البحث العلمي الدقيق. فالتقوقع على التراث والتعصّب له يقيّد تفكيرنا ويجعلنا نُراوح مكاننا وكذلك هو الانفتاح دون قيدٍ أو شرطٍ نحو الحداثة الذي

يجعل المرء غريباً مغترباً عن نفسه، منقطعاً عن جذوره، ضائعاً في متاهات الغربة والاغتراب.

ويوضح لنا الباحث المعنى الأصيل للحدث قائلا: "أما الحدث فتعني الانفتاح من غير الذوبان ومعايشة العصر دون نسيان الجذور والقدرة على فهم ما فيه من مستجدات في جميع مناحي الحياة الفكرية والأدبية والفلسفية والفنية من غير انهار، فهما دقيقاً متوازناً لا ينسينا هويتنا الحضارية العربية الأصلية"⁸.

و بهذا المعنى ف"إن المعاصرة لا تعني أبداً الاستغراب والانقطاع عن الأصول والضياع في تيه الحاضر، وإنما تعني أن نفهم العصر ونجيد تحديد مكاننا وطريقنا والدخول بأنفسنا وتسجيل هويتنا الحضارية فيه"⁹.

ومن هنا نستطيع القول: أن الدكتور الهيب رحمه الله تشبّع بروح الأصالة والمعاصرة وأسّس عليها منهجه القرائي بحيث ينطلق من التراث إلى الحدث ومن الحدث إلى التراث ليعود إلى الحدث بمادة معرفية، تمدّه قِوامة الاشتغال من تحقيق وتاريخ ونقد.

ولم يخف اهتمامه بما تقدّمه لنا الحدث من إمكانات هائلة خاصة في المجال العلمي والتقنيات الحديثة في الاتصال والتواصل. فهو يقف موقفاً إيجابياً من الكتاب الإلكتروني والحاسوب ويرى بضرورة اعتماده في البحث والتدريس.

ويؤكد على أن "الكتاب الإلكتروني سيحلّ مكان الكتاب الورقي المطبوع إن عاجلاً وأجلاً، كما حلت كثير من الصحف الإلكترونية محل الصحف الورقية في بعض الدول المتقدمة، وكما حلّ الكتاب المطبوع مكان المخطوط سابقاً ومثله حلّ الكتاب الورقي مكان الكتاب المكتوب على جلود الحيوان أو على

الحجر أو الطين المشوي من قبل، وكما تكيّفت أمتنا في عصور قوّتها وازدهارها مع هذه التطوّرات تتكيف معها أجيالنا الحاضرة بأقصى سرعةٍ ممكنة¹⁰. وفي ظل ما يقتضيه العصر الراهن من تطوّرات، فإنه يستدعيننا كأمة عربية مواكبة كل التطوّرات العلمية والمعرفية الحاصلة هنا وهناك، لتأسيس دعائم وجودها، وتحقيق شروط نهضتها، في ظل الاحتكاك بالآخر والانفتاح على ثقافة الغير للأخذ منها ما يُفيدنا وإعادة تكييفه وفق هويّتنا وأصالتنا كأمة لها تراث وحضارة وتاريخ تعترّ به بين الأمم.

3-تأريخه للتراث الأدبي التاريخي:

يُعدّ الأدب في كُتب تواريخ المدن عنصراً هاماً يقتضي الاحتفاء به من لدن الباحثين في تتبّع المسار الأدبي في أي عصر من العصور وفي أي زمانٍ ومكان. يقول فوزي الهيب مُشيراً إلى أهمية الأدب في السياق التاريخي والأدبي: "وهو فن يُعنى بالتأريخ للبلاد والمدن وحيواتها وترجمة رجالها من حيث أسماؤهم وعصرهم وبيئتهم وعلومهم وأدبهم. ويعرض ذلك بأسلوب أدبي تختلف جمالياته باختلاف أصحابه، ومن البديهي أن يُعنى بتراجم الأدباء والشعراء وأدبهم وسماته شعراً أو نثراً"¹¹.

ويقدم الدكتور ألهيب رحمه الله أمثلةً للكتب المؤلفة في تاريخ المدن وأدبها السائد آنذاك على غرار "كتاب المشرق في حلى المشرق"، وكتاب "المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد (ت571هـ) وبعض أقاربه، ومثل "تاريخ بغداد" للبغدادي (463هـ)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (571هـ)، و"بغية الطلب في تاريخ حلب" لابن عديم (ت660هـ)، و"الدّر المنتخب في تكملة تاريخ حلب" لابن الخطيب الناصرية (ت843هـ) وغيرها¹².

ومن المتون التي عكف الباحث على استجلائها وتدقيق مادتها، نجد مؤلفات منها ما هو في الشعر وأخرى في النثر وغيرها جمعت مادة متنوعة من شعر ونثر ونقد وغيره من المعارف.

وهذا ما استجلب اهتمامه بهذه المادة الغنية، فقام محققا متحريرا صحة ما فيها.

وفي خضم ذلك داخل أروقة الأدب العربي، استوقفه الجانب الأدبي في كتاب " الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب " لابن خطيب الناصرية علي بن محمد سعد الطائي الجبريني الحلبي، حيث كتب مقالاً نشره في مجلة " اللغة و الأدب " الصادرة عن كلية اللغة العربية وآدابها- جامعة الجزائر 2، العدد 30 ج 2 ،ديسمبر 2018. وقد ركّز اهتمامه في المقال المذكور على دراسة الجانب الأدبي من الكتاب لما وجدته يزخر بمادة أدبية شاملة ومتنوعة؛ أورد فيها صاحبه عددا كبيرا من الأدباء الشعراء من مواطنين مختلفين تمتد ما بين المشرق والمغرب وحتى بلاد العجم والروم.

هذا النتاج المتنوع المنضوي بين طيّات هذا المنجز، و الذي جاء بأسلوب علمي متأدب والسهل الممتنع كما وصفه، أولاه الكاتب عنايته و اهتمامه. فكان أن غاص في أعماق هذا المتن ليستجلي معانيه ويحقق مادته.

وفي نهجه هذا، وعند تحقيقه لعدد من المدونات الأدبية. تبين أن أصحابها حذفوا الأسانيد التي نقلوا عنها وأخذوا منها مادتهم. فكانت بذلك أدباً يعبر عن شخص صاحبها وعن الروح الأدبية للعصر الذي أنتجت فيه وتحدثت عنه. وأيضا عن البيئة الاجتماعية التي ترجمت أعلامها، فهي بهذا المعنى، تحمل ملامح جديدة لصورة الأدب. وهي بذلك كتب أدبية بامتياز من حيث المضمون والشكل؛ فقد تضمنت نماذج أدبية شعرا ونثراً كتبت بأسلوب أدبي جميل. تستدعي الدراسة و التمهيع.

أما بالنسبة للتراجم في تلك الكتب "فقد وضع أصحابها لذلك خطأً محكمة سهلة. اعتمدت الترتيب الألفبائي لأسماء الأعلام ولأسماء آبائهم، تمكّن الباحث من الوصول إلى مُبتغاه بسهولة ويسر، كما رتّبوا الأسماء المتشابهة حسب سنة وفاة أصحابها، لتسهيل البحث على الباحث في وقت لم تكن الفهارس المتنوعة التي نعرفها اليوم"¹³. ويضيف الكاتب في ذات السياق أن "ثمة أعلام آخرون عرفوا بلقبهم أو نسبتهم أو كنيتهم، فأفرد أصحاب التراجم لهم فصلاً خاصاً بهم، ذكروا فيه أسماءهم وأسماء آبائهم"¹⁴.

ومن منطلق هذه الرؤية الفاحصة لهذه التآليف، "فكان أن ركّز على دراسة الأدب الحلبي في عصوره المختلفة. فقدّم: الحركة الشعرية في حلب زمن المماليك و الحركة الشعرية في حلب زمن الأيوبيين، كما حقق ديوان ابن الوردى وهو من علماء حلب الكبار (...) كما حقق ديوان كتاب العروض لابن جني (...) وهو من أعظم علماء اللغة (...) وفضلاً عن ذلك حقق أربعة دواوين لابن جابر وأبي جعفر الأندلسيين اللذين استوطنا حلب وأحبابها"¹⁵.

وفي هذا السياق سنعرض لنتائج هامتين للباحث في المجال الأدبي، ألا وهما:

- الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء سنة (1986م)
- الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء سنة (1987م)

بالنسبة لكتاب الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء فهو كتاب طبع مرتين: الأولى من قبل مؤسسة الرسالة في بيروت سنة 1406هـ-1986م والثانية من قبل الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة العربية الإسلامية سنة 1427هـ-2006م. وهو من أهم الكتب التي تحدثت عن حلب زمن العصر المملوكي الذي يصفه ثلة من الدارسين بعصر الانحطاط أو الانحدار

وغيرها مما ألحق به من نعوت كعصر الضعف والظلمة والخمول والخمود والتأخر والتقليد والركاكة وهناك باحثون آخرون يقفون في الجهة المناقضة يعتبرون أن هذا العصر لم تتناوله الدراسات الكافية بال العناية المطلوبة مما جعله من العصور المظلومة. يقول الباحث: "وقد اختلف أصحاب هذه الدراسات القليلة حول هذا العصر المملوكي، فبعضهم رأوه من أبرز العصور المظلومة المهضومة الحق، وقد رايهم ما أصاب العصر من جفاء وهالهم ما ناله من صد، و ما رمي به حيناً من أنه عصر ظلمة وتأخر وانحطاط وتقليد، مع أنه جليل الخطر عظيم الأثر، ولمتقدم لنا منه الكتب الحديثة إلا صباية لا تنفع غلة، وإلا ثمالة لا تروي طالب نشوة، فهو إذن لم يكن عصر خمول أو خمود، وإنما عصر أدب وفن وعلم"¹⁶. ويضيف الكاتب أن "ثمة فريق ثالث رأى أن الأدب في مصر و الشام وقد صارت مركز الثقافة العربية في هذا العصر قد اختلفت حاله وتعددت مذاهبه، ولكنه كان أقرب إلى الروح العربية، وقد وصف (جب) هذا العصر بأنه العصر الفضلي للأدب العربي، ونعته بأنه لم يكن يمتاز بالإبداع و العبقرية بقدر ما كان يمتاز به من البراعة والصنعة والمهارة الفنية التي غلبت- إلى حد كبير- على العبقرية والابتكار"¹⁷.

يبدو أن د. الهيب لم يقتنع بالتسمية التي أطلقها بعض الباحثين على العصر المملوكي بأنه عصر الانحطاط فكانت نظرتة مُحققة ومنصفة. إذ يعتبر أن ما قدمته لنا الكتب الحديثة عن هذا العصر غير كافٍ، ولا ينبغي الحكم بأي حال على نتاج هذا العصر ككل بهذه الأحكام الجائرة. خاصة وأن هذا العصر شهد انتصارات تاريخية للمسلمين في حربهم ضد الصليبيين والتتار" وفضلاً عن ذلك كان منهم أعلام عمالقة متميزون، أبدعوا إبداعات عظيمة في كثير من ميادين العلوم والآداب، مثل ابن خلدون وابن تيمية و المولى جلال الدين الرومي وأبي شامة وابن خلكان و البويعري وابن دقيق العيد وابن عطاء

الله السكندري وابن منظور وأبي الفداء وابن فضل الله العمري وابن شاعر الكتيبي وابن عقيل والسبكي والفيروز أبادي والقلقشندي و ابن حجر العسقلاني وابن تغري بردي والسيوطي والصالح الصفدي وصفي الدين الحلي وابن نباتة المصري وابن الوردي و كثيرين غيرهم¹⁸.

وفي ضوء هذه الرؤية وما طرحه من استشكالات، فقد ارتأى د. الهيب التوجّه إلى ما كُتب عن هذا العصر وما دَوّن فيه للوصول إلى الحقيقة يقول: "ارتأيت أن أبحث عن إجابات لهذه التساؤلات، لعلّي أصل إلى الحقيقة، فاتجهت إلى ما كتب عن العصر وإلى كتبه نفسها، فوجدت أن أكثر كتبه مخطوط لم ير طريقه إلى الطباعة و التحقيق بعد، وبعضها مطبوع من مدة طويلة طباعة قديمة قد ندر وجوده حتى غدا كالمخطوط تقريباً، كما وجدت أن الدراسات حوله قليلة جداً، وبخاصة إذا قيست بما كتب عن غيره من العصور الجاهلية والأموية وغير ذلك، الأمر الذي جعلني أشعر أن هذا العصر بحاجة إلى دراسات تنير جوانبه، وتبرز خصائصه وميزاته وإيجابياته وسلبياته وتعطيه حقّه دراسةً وتقويماً"¹⁹.

وبعد أن حقّق الآثار التي أنتجها هذا العصر من خلال هذا الكتاب الذي سلّط فيه الضوء على ظاهرة التصنّع والبديع والتكلّف والغلو في الكتابة الشعرية والنقدية والبلاغية والتي كان قد تتبّع مسارها منذ العصر الجاهلي إلى غاية العصر المملوكي معرباً أن ذلك امتداد لتطوّر الحضارة العربية الإسلامية "من العصر الجاهلي حتى القرن الثامن الهجري، وحاول أن يربط بين هذا الغلو في التصنع من جهة، وتطوّر جوانب الحضارة العربية الإسلامية وحيوات أبنائها المتنوعة، والتي اتسمت بالتكلف والتعقيد في جميع مراحلها من ولادة الإنسان حتى وفاته وما بينها من مواقف ومظاهر من حيث الطعام والشراب واللباس

والسكن وغير ذلك (...) إلا أن هذا الغلوّ سنة من سنن هذه الحياة التي نحيّاها، نجدها لدى جميع الأمم والحضارات في جميع العصور شرقاً وغرباً"²⁰.

أما الكتاب الثاني: الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء²¹، فهو الآخر، كتابٌ طبع مرتين: الأولى من قبل مكتبة المعلق في الكويت سنة 1407هـ- 1987م والثانية من لدن الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة العربية الإسلامية سنة 1427هـ- 2006م. فإن دواعي كتابته لدد. الهيب نفسها دواعي كتابة المؤلف السابق²¹ بحيث أن العصر الأيوبي وما تلاه من عصور رغم امتدادها أمداً طويلاً عرفت ثلة من العلماء والأدباء والنقاد والشعراء غير أنه لم يحظ بقراءة الدارسين لنتاجه. اين وجد الباحث ان أكثر كتب هذا العصر مخطوط لم يتم طبعها، وكتب اخرى مطبوعة طباعة قديمة نادرة فغدت كالمخطوط، وكذلك الدراسات حولها قليلة اذا ما قيست بالدراسات التي تناولت غيره من العصور الجاهلي والأموي.

وهنا أحسد. الهيب بحاجة هذا العصر الى دراسات وأبحاث تجلي خصائصه وميزاته، وتعطيه حقه من الدراسة و التمهيص .

وقاده هذا التوجّه نحو العصر الأيوبي إلى البحث في مجموع كتبه المخطوطة و المطبوعة، القديمة منها و الحديثة، وقد أمكنه ذلك من جمع مادة الكتابة التي تناول فيها البيئة الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لحلب، وأيضاً الحياة الثقافية وما يجول فيها من مناهل وعلوم، كما تناول الأغراض الشعرية من مديح وهجاء وفخر ونسيب وخمر ووصف وحكمة وغيرها متحدثاً عن خصائص هذا الشعر بنوعيه التقليدي والمحدث وأساليبه من حيث الألفاظ والتراكيب والصور والموسيقى، وعكف على ذكر عدد من الشعراء منهم السهروردي وابن مماتي ، ويوسف شواء والقاسم الواسطي وابن عديم.

وقد قسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول تناول فيه البيئة المحيطة والسياق الذي أنتجت فيه تلك النصوص الشعرية وتأثيرها على هذا النتاج وفي القسم الآخر تناول فيه الشعر ذاته وقائليه و نصوصهم.

وفي خاتمة الكتاب²² يربالباحث أن هذه المادة الشعرية و النصوص المتوافرة استطاعت أن تعبر عن الشوق والحنين لحلب ووصف مظاهرها الطبيعية والعمرانية ومدح ملوكها والتأريخ لأحداثها وقد تحقق ذلك عند مجموعة من الشعراء مثل ابن عديم ورايح الحلي والعجمي والقفطي والملك الناصر وآخرون. غير أن الحلبية كمنهج فني وملاح شعري متميزة لم يستشفها الباحث لأن النتاج الشعري كان لشعراء متعددي الأقطار والأمصار حتى ولو قيل عن حلب وحتى النقاد متعددي النشأة يشكلون تمازجاً ثقافياً متحرراً أمثال عبد اللطيف البغدادي وابن أثير والقاضي الفاضل وابن سناء الملك فكانوا رحالة يجوبون الأقطار ويتعدون حدودها.

كما كان للشعراء معرفة عميقة بماضيهم، يسلكون نهجه، ويستمدون منه المعاني لإرضاء رجال البلاط الحاكم. وبالتالي كان هذا الشعر ممثالاً للشعر المنتشر في سائر أرجاء العالم الإسلامي.

غير أنّ وجه الاختلاف والتمايز كامن فقط في الصيغ والأساليب من حيث القوة والضعف أما من حيث الروح و المتهاج فهذا أمر غير موجود.

بعد أن عرضنا لما ورد في هذين الكتابين بصورة مختصرة فليس هناك شك أنّ هذه الأعمال الجليلة التي خلّد فيها حلب وتاريخها الأدبي خاصة لها بصمتها الأدبية في رسم ملامح العصرين المملوكي والأيوبي وتبعد عنهما الأحكام الجائرة الواصفة لهما بالضعف والانحدار وإنما لكل عصر ملامحه وخصوصياته التي تميّزه عن غيره من العصور.

وما هذان النموذجان اللذان أوردناهما وتوقفنا عندهما سوى غيض من فيض الأعمال الجليلة والقيّمة والنّاتج الغزير للباحث وكلها تستدعي البحث والقراءة من لدن القراء للإفادة والاستفادة من علومها الأصيلة المتميّزة.

الخاتمة

وخلاصةً لما ورد ذكره في صفحات هذا المقال، فإنّ الجدير بالذكر أنّ العلامة الباحث أحمد فوزي الهيب رحمه الله هو بحق الباحث المدقق والمحقّق الذي لم يدّخر جهداً في تحقيق الوثائق والمتون التراثية العربية الإسلامية في شتى حقولها، من أجل إعادة إحيائها وتحيينها في حلّة جديدة تتواءم وملاحم الحداثة ، كلّ هذا خدمةً للتراث وللأمة العربية الإسلامية .

ونحن إذ نقرّ ذلك فليس من فراغ، وإنّما من خلال ما استطعنا الوقوف عنده من نتائج ضمن هذه الدراسة ونحن نتتبّع أعمال العلامة ومساره العلمي الحافل .

وهي كالآتي:

- يؤكّد لنا د.فوزي الهيب- رحمه الله - من خلال قراءته للتراث العربي الإسلامي أنّ التأريخ لهذا التراث يقتضي الرجوع إلى كتب تواريخ المدن التي تضم بين طيّاتها مادة أدبية وتاريخية تحدد ملامح العصر التي أنتجت فيه أعلامها و شخصياتها

- لا يؤمن فوزي الهيب بالفصل بين الثقافات وإنّما يؤمن بتداخل الثقافات و التلاقح الفكري لتحقيق غاية التطوّر وإثراء المعرفة الخاصة..

- الربط بين ماضي الأمم وحاضرها يستوجب مد جسور التّواصل بين التراث والحداثة للحفاظ على الهوية القومية من جهة ومواكبة الحداثة من جهة أخرى

- لم تكن للعلامة نظرة سلبية لظاهرة التصنع والغلو التي ظهرت في العصور التي سمّيت بعصور الانحطاط أو الانحدار وإنما كانت نظرت له نظرة إبداع وفن أثرى بها جانباً مهماً من جوانب الحضارة الإسلامية.
- الرجل رحمه الله كان جسراً معرفياً واصلاً وحبلًا وطيلاً رابطاً بين الماضي والحاضر وهمزة وصلٍ بين المشرق و المغرب وأعماله شاهدةٌ على ذلك.

الإحالات:

- 1-العربي الجديد، رحيل الباحث والمحقق السوري أحمد فوزي الهيب، 19 يناير 2021، على الرابط <https://www.alaraby.co.uk>، تم الاطلاع عليه في 2021/11/14م
- 2-فوزي الهيب: محاضرة تحقيق المخطوطات 2019-2020 على موقع تيليغرام، ص4
- 3-المرجع نفسه، ص 5
- 4-المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- 5-المرجع نفسه، ص ص 4،5
- 6-أحمد فوزي الهيب: الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء-579-658هـ، الأمانة العامة لحلب عاصمة الثقافة العربية، ط2، 1427هـ/2006م، مقدمة الكتاب ص5
- 7-فوزي الهيب: محاضرة تحقيق المخطوطات 2019-2020 مرجع سابق، على موقع تيليغرام، ص4
- 8-فوزي الهيب: التراث والحداثة في مجلة المعرفة، مجلة المعرفة، العدد570، مارس 2011، ص51
- 9-فوزي الهيب: محاضرة تحقيق المخطوطات، مرجع سابق، ص4
- 10-فوزي الهيب: تقنيات المعاصرة وضرورتها في البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، مجلة الآداب واللغات، المجلد 18، العدد01، أعمال الملتقى الدولي الرابع حول مناهج البحث
- 11-في اللغة والأدب و الفنون، 25 نوفمبر 2018، ص ص 12، 13
- 12-فوزي الهيب: الجانب الأدبي في كتاب " الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب"، مجلة اللغة والأدب، كلية اللغة العربية و آدابها و اللغات الشرقية- جامعة الجزائر 2، العدد 30، ج2، ديسمبر 2018، ص 32
- 13-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 14-المرجع نفسه، ص33
- 15-المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- 16-فوزي الهيب: الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء، الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة العربية، 1427هـ-2006م، ص8
- 17-المرجع نفسه، ص ص 8،9

- 18- ابن جابر الأندلسي : نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق 1426هـ-2005م، مقدمة الكتاب ص ص5، 6
- 19- فوزي الهيب: الحركة الشعرية زمن الممالك في حلب الشهباء، مرجع سابق، ص ص 8، 9
- 20- فوزي الهيب: التصنع وروح العصر المملوكي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، تقديم: عبد الكريم الأشر، دمشق، 2004، ص 117
- 21 - ينظر فوزي الهيب: الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء، الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة العربية، 1427هـ-2006م، مقدمة الكتاب، ص ص 7، 8
- 22- ينظر المرجع نفسه، خاتمة الكتاب، ص ص 255، 256

المراجع:

- ابن جابر الأندلسي : نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق 1426هـ-2005م.
- العربي الجديد، رحيل الباحث والمحقق السوري أحمد فوزي الهيب، 19 يناير 2021، على الرابط <https://www.alaraby.co.uk>
- فوزي الهيب: الحركة الشعرية زمن الممالك في حلب الشهباء، الأمانة العامة لاحتفالية حلب عاصمة للثقافة العربية، 1427هـ-2006م
- فوزي الهيب: الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء-579-658هـ، الأمانة العامة لحلب عاصمة الثقافة العربية، ط2، 1427هـ/2006م
- فوزي الهيب: التصنع وروح العصر المملوكي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، تقديم: عبد الكريم الأشر، دمشق، 2004
- فوزي الهيب: تقنيات المعاصرة وضرورتها في البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، مجلة الآداب واللغات، المجلد 18، العدد01، أعمال الملتقى الدولي الرابع حول مناهج البحث في اللغة والأدب و الفنون، 25 نوفمبر 2018
- فوزي الهيب: التراث والحداثة في مجلة المعرفة، مجلة المعرفة، العدد570، مارس 2011،
- فوزي الهيب: الجانب الأدبي في كتاب" الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب"، مجلة اللغة والأدب، كلية اللغة العربية وآدابها و اللغات الشرقية- جامعة الجزائر 2، العدد 30، ج2، ديسمبر 2018
- فوزي الهيب: محاضرة تحقيق المخطوطات 2019- 2020 على موقع تيليغرام.